

الزمان والمكان في روايات علي لفته سعيد

م . د . م . مي جميل شريف

وزارة التربية / مديرية تربية محافظة الانبار

الايمل : saddamalwani77@gmail.com

Time and Space in The Novels of Ali Lafta Said
May Jameel Shareef

الفضاء بشكل عام هو كل ما يحيط بالإنسان، لذلك فهو مصطلح شديد الاتساع، يدخل تحت رايته العديد من المكونات الجزئية التي يتكون منها، وذلك حيث يتجاوز الفضاء الروائي الحدود الجغرافية للمكان ليتناول بقية العناصر الأخرى التي تتضافر مع المكان لتخرج لنا الأحداث المكونة من الأفعال التي تقوم بها الشخصيات في زمن ومكان معين، مما يجعلنا نقرر أن الفضاء الروائي هو نص أداته اللغة، حيث يدفعنا ذلك النص إلى البحث والتمحيص فيه لاستخراج مكنوناته الجمالية والدلالية. إن مصطلح الفضاء الروائي من المصطلحات التي نالت اهتماماً كبيراً من النقاد ودارسي الأدب العرب والغرب، فالفضاء الروائي هو مصطلح نقدي قد نشأ حديثاً، لما تتضح معالمه بعد، مما جعل كل ناقد ينظر إليه من وجهة نظره الخاصة، وخاصة في ظل غياب نظرية جامعة تحكم المصطلح. والحق أن الرواية العراقية هي فن من فنون الأدب الذي يحاول دائماً السعي نحو الأفضل، ومواكبة التقدم والتطور الذي يلحق بركب الفنون الأدبية باستمرار، وذلك في محاولة منها للمشاركة في بناء وتكوين الأنساق الثقافية والاجتماعية العراقية، وتلبية حاجة الأديب للتعبير عن نفسه ومجتمعه وما به من قضايا ومشكلات، مما أعطى الرواية العراقية سمة التألق والبروز بين الروايات المختلفة. ونظراً للجهود التي تقوم بها الرواية العراقية للمضي في سبيل التقدم والتطور، ونظراً لأهمية الفضاء الروائي باعتباره أحد المكونات الأساسية التي يعتمد عليها السرد داخل الرواية، فقد جاءت هذه الدراسة لتتناول تقنية الفضاء الروائي بمفهومها الواسع، مركزة على روايات الروائي (علي لفته سعيد)، إذ تقف الدراسة بالبحث والتمحيص على كيفية توظيف الروائي (علي لفته سعيد) لتقنية الفضاء الروائي داخل رواياته، وذلك في محاولة من الباحث لإبراز القيمة الفنية والجمالية للفضاء الروائي في الرواية العراقية.

Abstract

Space in general is all that surrounds the human being, so it is a very broad term, under which it enters many of the partial components that make up it, where the narrative space exceeds the geographical boundaries of the place to address the rest of the other elements that combine with the place to get us events consisting of acts By the characters in a certain time and place, which makes us decide that space is the text of his language tool, where this text leads us to search and scrutinize it to extract its aesthetic and semantic components .The term novel space is one of the terms that have received great attention from critics and scholars of Arab and Western literature. Fiction space is a newly developed monetary term for what is yet to be clarified, which made every critic look from his own point of view, especially in the absence of a universal theory governing the term .The truth is that the Iraqi novel is an art of literature that always tries to strive for the best, and keep pace with the progress and development that accompanies the literary arts continuously, in an attempt to participate in the building and formation of cultural and social systems of Iraq, and meet the need for the writer to express himself and his community and its issues And problems, which gave the Iraqi novel the characteristic brilliance and prominence among the various novels .Given the efforts of the Iraqi novel to move forward and develop, and given the importance of novel space as one of the main components of the narrative within the novel, this study deals with the technology of novel space in its broad sense, focusing on the novels of the novelist (Ali Gesture Said), as The study looks at how the novelist Ali Lafta Saeed uses the technology of fiction space in his novels, in an attempt by the researcher to highlight the artistic and aesthetic value of fiction space in the Iraqi novel .

المقدمة

لقد كان الباحث على اختيار هذا الموضوع هو الرغبة الجامحة في اكتشاف وتحليل مكونات البنية السردية في النص الروائي، وإبراز كوامنه ودواخله التي تحقق جماليته إبداعه. كذلك كان الدافع وراء اختياري ذلك الموضوع هو الرغبة في إبراز جماليات الرواية العراقية بشكل عام، باعتبارها جزء لا يتجزأ من الكيان الثقافي والمعرفي العربي، لذلك لا بد من أن نوليها مزيداً من الاهتمام والعناية سواء في مجال الإبداع الروائي، أو في مجال الدراسات النقدية والأدبية المختلفة. وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تقف بالدرس والتحليل والتطبيق على أحد مكونات البناء السردية في الرواية العراقية، وهو الفضاء الروائي، فنحاول البحث عن ماهية المصطلح، ومكوناته الأساسية، وأهميتها، وكيفية توظيفها داخل النص الروائي. كذلك فإن أهمية هذه الدراسة تكمن أيضاً في محاولة الباحث لإبراز جماليات النص الروائي العراقي، في محاولة منه لوضع الرواية العراقية في موضعها الصحيح بين الإنتاج الإبداعي الروائي العربي. كما تتمثل أيضاً أهمية هذه الدراسة في أنها تتعامل مع النص بشكل مباشر، من خلال بحثها في تقنيات الفضاء الروائي في روايات الروائي (علي لفته سعيد)، مبينة كيفية توظيف الروائي

لعناصر الفضاء الروائي داخل أعماله الروائية، ذلك كله من خلال الوقوف بالنقد والتحليل لنصوص الروايات المختلفة، مما أكسب هذه الدراسة واقعية مأخوذة من واقعية النص نفسه. وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن بعض الإشكاليات والأسئلة الخاصة بموضوعها، ومنها:

١. ما الفضاء الروائي؟ وما عناصره ومكوناته؟
٢. كيف يتم بناء الزمن داخل النص الروائي؟ وكيف تعامل الروائي (علي لفته سعيد) مع الزمن واتجاهاته المختلفة؟ وكيف وظف أشكاله المتعددة داخل رواياته؟
٣. هل للمكان أهمية داخل العمل الروائي؟ وما طبيعته؟ وكيف قدم الروائي (علي لفته سعيد) المكان داخل رواياته المتعددة؟ وكيف تعامل مع أنواع المكان المختلفة؟ وأما فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد رأينا أن اتباع منهج معين في هذه الدراسة قد لا يحقق النتائج المرجوة منها، لذلك آثرنا أن يجمع في هذه الدراسة بين أكثر من منهج، حتى نستطيع أن نحقق الأهداف المرجوة من الدراسة ويجب عن كل التساؤلات التي طرحتها، لذلك جمعت هذه الدراسة بين المنهج البنوي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي التطبيقي. ولقد واجهنا في هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات كان أهمها صعوبة التعامل مع مصطلح الفضاء، من إذ تداخله معه المصطلحات الأخرى، كذلك أيضًا كان من أبرز الصعوبات التي اعترضتنا في هذه الدراسة عدم كفاية الدراسات التي تناولت الفضاء الروائي بشكلٍ كافٍ، لذلك كان الاعتماد الأكبر على الدراسات التي تناولت عناصر البنية السردية للرواية بشكل عام. كما ذكرنا سابقًا أن الدراسات التي جاءت تتحدث عن الفضاء الروائي هي دراسات قليلة، لذلك اعتمدت هذه الدراسة على بعض الدراسات التي أفادت في ذلك المجال، حيث كان الاعتماد الأساس على روايات (علي لفته سعيد) السبعة، وهي:

١. وشم ناصع البياض.
٢. الصورة الثالثة.
٣. مواسم الإسطرلاب.
٤. مثلث الموت.
٥. السقشخي.
٦. مزامير المدينة.
٧. فضاء ضيق.

كذلك كان الاعتماد على بعض الدراسات النقدية التي تتناول عناصر البنية السردية، ومنها: كتاب صبيحة عودة زعرب (غسان كنفاني)، وكتاب (بنية الشكل الروائي) للدكتور حسين بحراوي، وكتاب نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض، وكتاب (في بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) لسيزا أحمد قاسم، وغيرها الكثير من المراجع التي أفادت منها هذه الدراسة. وجاءت هذه الدراسة تحت عنوان (الزمن والمكان في روايات علي لفته سعيد)، وقد قُسمت إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ملخصة للنتائج التي توصل إليها الباحث .

المبحث الأول: الفضاء الروائي

الفضاء لغة واصطلاحاً: يعد البحث في مفهوم الفضاء من اصعب المهام التي واجهت الكلام النقدي الحديث ، بحكم هلامية ذلك المفهوم وتفرعه وعدم وضوحه مع بعض المصطلحات ، وخاصة مصطلح المكان وهكذا فالخوض في بحر هذا المفهوم هو حاد الظلمات ووعر المسالك وغير جلي المعالي ، وذلك راجع لقلّة الدراسات في ذلك الميدان من التعليم ، حتى في منبعها الاصيلي نحو القرب. مما أدى إلى تباين الآراء والمواقف بين النقاد والمختصين والدارسين في الميدان وخاصة بارتباطه بالمكان ((لان النقاد الغربيين يشيع عندهم مصطلح الفضاء ولا يكاد يصطفون مصطلح المكان الا عرضاً ، ولدلالات خاصة وعبر حيز ضيق في نشاطهم))^(١). بمقابل هذا نجد في الانتقاد العربي المعاصر سفيرة مصطلح المكان الذي لقي الانتباه والعناية أكثر ، خاصة عقب ترجمة غالب هلسا في كتابه (جماليات الموضع) باشلار. ولقد اضيفت مكونات الفضاء الروائي المقال جمالية وخصوصية كما نلمح مراعاة الانتقاد العربي بالفضاء الروائي ، لكون الرواية ذاتها لم تكن تهتم بذلك المكون الحكائي ، وتعدّه مجرد محيط خارجي ، الا ان نتيجة التفاعلات الثقافية والتاريخية تساعد الفضاء من ترسيخه مع العناصر الروائية ، وذلك الانتباه من طرق الانتقاد العربي بالفضاء وكان وجوب حتمية فرضتها الروايات الكبيرة التي اصبحت تعبير اهتمام بهذا العنصر الروائي. اذ من المصطلحات النقدية التي دخلت مؤخرًا عالم الدراسات والبحوث وفرضت ذاتها بشدة بعدما اهملت

سابقاً ((بسبب انصراف النقاد والباحثين الى التركيز على عناصر اخرى كالزمن والشخصيات ... ولكن الفضاء ايضا يعد عنصراً من عناصر النص الروائي))^(٢)، ويشمل الفضاء الروائي كل المكونات الاشكالية للرواية من زمن وسرد وشخصيات

الفضاء لغةً: عند الرجوع للمعجمات العربية ورد في لسان العرب بمعنى ، هو المكان الواسع من الارض ، الفعل فضا : يفضو - فضوا فهو فاض . وقد فضي المكان ، وافضى اذا اتسع ، والفضاء استوى على الارض واتسع ، قال والصحراء فضاء ، ومكان فاض ومفضي اي واسع ، وارض فضاء أو برار ، والفاضي البارز والمفضي المتسع^(٣) . والفضاء في تاج العروس ((الساحة وما اتسع من الأرض))^(٤). كما ورد في المعجم الوسيط بمعنى ((الفضاء وما اتسع من الأرض ومن الدار ، ما اتسع من الأرض امامها ، وما بين الكواكب والنجوم من مساحات لا يعلمها الا الله))^(٥). يعرف الفضاء الروائي ((الحيز الزمكاني تتمظهر فيه الشخصيات والاشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الادبي وبحساسية الكاتب أو الروائي))^(٦). وقد يتشابه الزمان والمكان اذ يوصفان ((العامل الأساس في تحديد سياق الاثار الأدبية من حيث اشتمالها على معنى انساني))^(٧). ويتمثل الاختلاف بينهما من خلال تحديد المواقف العامة لشخص ومدى تأثير المكان عليه بينما الزمن يظل محورا هاما في الاحداث ((مما ينتهي بنا الى وضع ثنائية جديدة بين هاتين المجموعتين))^(٨). لذلك فيعرف هو ((فضاء لفظي ، انه يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها ، ولما كانت اللغة عاجزة تشييد فضاءها الخاص بسبب طابعها المحدود ، فإن الروائي يدعو الى تقوية سرده بوضع طائفة من علامات الوقف داخل النص المطبوع))^(٩). لذلك فهو مثل عناصر السرد الاخرى لا يبقى سوى بواسطة اللغة ، ويتشكل من خلال اللغة. من خلال رأي النقاد الاقدمين والمعاصرين من بينهم من اهتم وربط بين الزمان والمكان نلحظ ارسطو اذا قال : ((ان الحركة خاضعة للمقدار الكمي ، وكل مقدار كمي متصل ، فالحركة اذن متصلة. فاذا كان الزمان سائرا وفقاً للحركة ، فهو اذن متصل مثلها . ونحن نميز في التحرك بين نقطة بدء ونقطة وصول ، اي نفرق بين متقدم ومتأخر في المكان والحركة كما قلنا خاضعة للمكان : فاذا نستطيع ان نميز فيها بين متقدم ومتأخر))^(١٠). فالزمن والمكان مكونان متلازمان ويمكن اللجوء اليهما في تحديد اطار قضية ما بوصفهما عاملين متماثلين هما الزمان والمكان وتبقى الفكرة حول الزمان ((تمتج دائما بفكرة المكان))^(١١). ومن النقاد والدارسين الذين اتوا بنوع مختلف من التقدم على ذلك المفهوم لا يتشابه مع من سبقه عن طريق اتباع منهج ذهب فيه من خلاله إلى مربيقات بلاغية والاستفادة من افكار اللغويين والفلاسفة الاقدمين والمعاصرين له اذ كان عصر التهاوني مصطلح الفضاء عنده (الزمان ، المكان ، الحيز). من خلال مفاهيمهم . ((واما اهل العلم فقد اختلفوا فيه - المكان - فذهب ارسطو طاليس وعليه الم ومتأخر الحكماء كابن سينا والفارابي واتباعهم ، إلى ان المكان هو الهيولي ، اذ المكان يقبل تعاقب الاجسام المتمكنة فيه ، وأيضاً يقبل الاجسام اي الصور الجسمية فالمكان هو الهيولي ، وهذا المذهب ينسب إلى افلاطون))^(١٢). لقد ساهم الفلاسفة العرب والقدماء في تقدم مصطلح الفضاء بعدما استفادوا من الاسبقية خاصة الفلسفة اليونانية ، الذي يكون فيه الجسم ، ذاهبا فيه طولاً وعرضاً وعمقاً ، وان كل جسم سواء ، فان كان الجسم مدور الشكل أو مربع أو مثلث ، أو غيرهما من الاشكال ، فانه مكانه سواء ، لا أصغر ولا أكبر من قيل في المثل ، ان المكان مكيال الجسم وعلى هذا يجب ان يكون المكان جوهر^(١٣). اذ يسمي حسن نجمي تلك الجريمة على ترجمة لمصطلح المكان ((لقد ارتكب جنائية من ذلك النوع الذي يمكن ان نسميه بالجريمة الدقيقة في حق الحقل النقدي والادبي العربي ، مات ولا تزال ذبول الجنائية حية متواصلة))^(١٤). والتي شوهت هذين المصطلحين في وقت لاحق وتركت تأثيرها على الدراسات اللاحقة ، وفي حديثه عن التواصل بينهما يؤمى إلى وصف المكان في الأساس للفضاء. وكذلك حسن بحراري في كتابه (بنية الشكل الروائي) الذي يرجع الى مصطلح الفضاء ليركز على دراسته المكان بوصفه من المكونات الرئيسية للخطاب السردى ، لكنه هو الاخر مكونا أساسياً لهذا يبقى بينهما دون مفاضلة سواء بواسطة التعريفات والشواهد ((لذلك ارتبط عنده المكان بالفضاء على اعتبار لكل مكان فضاءاته ، وفي تحليله لتلك الفضاءات نجده يعتمد على مقاربات باشلار ولوتمان))^(١٥). ويميز حميد الحمداني بين الفضاء والمكان حيث قال : ((ان الفضاء في الرواية اوسع واشمل من المكان ، انه مجموع الامكنة التي تقوم عليه الحركة الروائية المتمثل في سيرورة الحكي وعلى هذا فالمكان الروائي هو الحيز الذي تجري فيه الاحداث الروائية التي يلغياها الفضاء جميعا عند الافق الرحب والاشمل))^(١٦). يلعب الفضاء دوراً حيويًا على صعيد الاستيعاب والتفسير والقراءة النقدية كما يعد وسيلة للمعرفة وقد تلونت وقبلت بالاستيمولوجيا وضعا وصفياً للفضاء ، بكونه شيئاً ذهنياً أو مكاناً ذهنياً وله دور هائل للتفسير والاستيعاب فهو وسيلة للمعرفة من خلال دوره الهام في اصدار بنيات المقال الادبي^(١٧). ويأتي الفضاء الروائي حيث يلف الامكنة المغايرة في الحكاية فهو شامل لكل المكونات الاشكالية للرواية ، فالمكان قد يشكل مكاناً واحداً في الحكاية ، اما الفضاء الروائي فيشمل المكونات للرواية من شخصيات وسرود واحداث ، فالفضاء اشمل ((الفضاء اشمل من

مفهوم كلمة مكان ، فالفضاء شمولي فهو يشير إلى المسرح الروائي بكامله^(١٨). ويعد المكان جزءاً أساسياً في تشييد الشغل الأدبي وأهميته في ذلك الجزء ليست في نفسه وإنما مساهمته لجميع مكونات الشغل الأدبي لأنه وعاء للحدث والشخصية ، أو إطار لهما ولغيرهما. ولا يمكن النظر إلى الفضاء إلا بأنه برمجة مسبقة لمجموعة من الاحداث اذ يعتبر عنصراً مشاركاً في عملية اصدار المعنى ودلالته لا تأتي من المكونات الطبيعية لشكله له ما تثيره امكنة كأعماق البحار أو قمم الجبال أو المغامرات^(١٩). بل تأتي بواسطة الفضاء التي تعطيه دلالة جديدة (عالم النص السردي) من خلال احتلال العنصر الطبيعي من بنيه الاصلية وهي تركيب جديد معنى العنصر داخل البنية الأولى ومعناه داخل البنية الثانية. فمن الممكن ان تغير القصة أو الرواية في حد نفسها فضاء مكاني مرتبط بالمنطقة التي تشفرها المفردات على بياض الورقة ، اي على الصعيد داخل المتن الروائي. فالفضاء مثل باقي مكونات السرد اللفظي لا يبقى سوى عن طريق المفردات المطبوعة في الكتاب والمفردات بطبيعتها قاصرة على بناء فضاءها المخصص لهذا يلجئ السارد إلى تقوية سرده باستعمال طائفة من العلامات واشارات الوصف ، في الجمل داخل المقال ينتج ذلك فضاء حديث ، هو فضاء الصفحة والرواية ((وهو الكتاب يتلقى فيه وعية الكاتب بوعي القارئ))^(٢٠). فيني نوع من الحوارية ، وبالتالي فان المقال يمثل جملة من الاشارات اللغوية والدوال الموزعة بحسب نسق تخطيط كتابه. تعد تلك الفضائية الهيئية الخارجية الحسية للنص والتي يمكن ملاحظته بالعين ولذا ارتباط عظيم بمغزى الحكيم. الارتباط بين الفضاء الروائي والحدث سيعطي الحكاية التماسك الوثيق والانسجام ، كما يأخذ دوراً في توزيع وظائف الشخصيات ويوضح الحياة اللاشعورية للشخصية من خلال ارتباطه بالحدث ((وهكذا يمكن عد الفضاء بناء يتم انشاؤه على المميزات والتحديات التي تطبع الشخصيات))^(٢١). وبالتالي هذا الفضاء متعلق بالنص بمثابة ((ان اللغة غالباً بطبيعتها أكثر اقتدار على ترجمة العلاقات الفضائية أكثر من اي نوع اخر من العلاقات ، لأنها الوسيلة التي نعيد بها ادراكنا للفضاء ونظرتنا اليه ووجودنا فيه))^(٢٢). ذلك الادراك الواسع بالكتابة واطرق الحكيم ، يعطي الروائي المتمكن من تشييد عالمه الفني ، وإعادة بلورة المرجع الذي يشارك في تشكيله أو الواقع الذي ينتمي إليه ، فيعيد بلورته وتشييده ((فالفضاء كوعي عميق بالكتابة جمالياً وتكوينياً ، فالفضاء كذاكرة وهوية ووجود ، الفضاء كسؤال اشكالي ملتصق بوعينا الثقافي والاجتماعي والجمالي ونسيجنا السيكولوجي والمعرفي والايديولوجي))^(٢٣). وعند قراءة الفضاء الروائي علينا عدم تذكر الفضاء في الواقع ، لان ذلك الأخير بأشكاله الهندسية ووجوده الفيزيقي من خلال ترجمته الاماكن المرجعية بوصفها معنى بدون ان يمثلها تماماً وبشكل مطلق مما يساعد المتلقي المشترك في التخطيط الحكائي ((فالنص مشروع كون جديد منفصل عن الكون الذي نعيشه به))^(٢٤). بما ان يسعى باستمرار غموض المتلقي بواقعية الاحداث يجعل طابع الاحتمال الذي هو مطلب أساسي للنص من خلال الانسجام والتوافق مع الواقع من خلال وصف المكان ((لان تشخيص المكان في الرواية ، هو الذي يجعل من احداثها بالنسبة للقارئ ، شيئاً محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعيته))^(٢٥). وبذلك يوجد في الفضاء صندوق يختزن العديد من القيم والدلالات والمعاني ، التي تنتظم داخل النسيج الباطني للنص بهذا تشكل نصاً مميزاً.

المبحث الثاني: الزمان

على الرغم من عناية الروائيين والقصاصين بعنصر الزمان في العمل الأدبي فلم يعثروا في النقد الأدبي عبر دراستهم مصطلحات تفي بأغراضهم الذي جعلهم يعتمدون على مصطلحات (الفلاش باك والمونتاج والتقطيع). إلى ان ظهرت الجهود من لدن (الشكلانيين الروس) الذين عمدوا إلى تقسيم الزمان في العمل الأدبي على زمن المتن الحكائي (نظام الاحداث)، والمبنى الحكائي (نظام الخطاب)، فاليهم تعود البداية في تأسيس دراسة الزمان وتحليله في العشرينيات من القرن العشرين بوصفة لاحد مكونات السرد. وان النقاد الروائيين عدوه من الاجناس الأدبية الأكثر ارتباطاً بأحداث الرواية، إذ هناك رابط بينهما يساعدها في وجودها وبنائها^(١). وقد وصفه من النقاد من خلال اقتترانه بالشخصية بوصفة الشخصية الرتيبة في الرواية المعاصرة^(٢)، إذ يعد في نظر النقاد العمود الفقري الذي يربط اقسام الرواية الحديثة وهو المكون الفعال ومن غيره لا تكتمل الرواية. الزمان لغة: ورد في لسان العرب ان ((الزمان اسم القليل من الوقت أو كثيره، الزمان زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد: يكون الزمن شهرين إلى ستة اشهر، والزمن تقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما اشبه، وازمن الشيء: طال عليه الزمان، وازمن بالمكان: اقام به زماناً))^(٣). فقد كان ترتيب الروائي للزمن وتسلسله فيها متسلسل ومنطقي فبدأ اولى استحضاراته للزمن من المضى عبر روايته (وشم ناصع البياض) فقال: ((الليلة الأولى مضت، مخلفة وراءها حزمة من الانفعالات والأسئلة الباحثة عن أجوبة في دهاليز مظلمة الدروب التي توصل النوم الذي بات محفوقاً بالمخاطر))^(٤)، ثم بعد أن قضى مده من الوقت مع بطل الرواية وما يدور في مخيلته، استحضر آلة الزمن مرة أخرى ((كان الوقت قد أضاف نصف ساعة أخرى.. تذكروا الليلة

السابقة حين انهار الترقب))^(٢٨). مع ان بداية الرواية بنيت على استرجاع قريب خارجي الا انه شكل نقطة انطلاق لسير للأمام في بنية التتابعية في الرواية، مما اعطى فرصة كبيرة للروائي لكي يدفع الاحداث للأمام من جهة ويستفيد من الكم التراكمي للمعلومات المتتابعة في بناء عناصر الرواية الاخرى لا سيما الشخصيات، مما يوحي بإدراك الكاتب لأهمية الزمن داخل الرواية، وأهمية توظيفه لتسيير الأحداث^(٢٩). ويعبر التسلسل الزمني في رواية (الصورة الثالثة)، إذ يقول: ((مع انتهاء الساعة العاشرة بالضبط، صرت أشعر بالوحدة في ذلك الصباح البارد الذي اصطحبت فيه أشياء... مثل زئبق محاصر بزجاجة.. هل تدل هذه الحالة على أنني بدأت أهلوس؟))^(٣٠). فقد حاول الراوي أن يقوم عبر الشخصية المحورية في الرواية بعقد مقارنة أو مفارقة في الزمان بين ساعات ذهبت وساعات أتت وساعات قادمة. وها هو في موضع آخر يعبر عن أهميته في تسلسل الأحداث يرنو به التسلسل من رواية إلى أخرى في تزامن وتسلسل منطقي، فالرواية ((هي جزء من خط الزمان المفتوح، فلرواية غالباً ماتكون منفتحة على ازمنا مضت قبلها واخرى ستاتي بعدها، انها جزء من حركة الزمان واحداثه))^(٤)، إذ يقول: ((في تلك الليلة بعد مضي ثلاثين يوماً، تحصت ملامحها، تركتها صافنة كأننا اكتفينا لمرة واحدة لان نبقي متشابكين. وحين قلت لها اقتربي من هذياني اصابها الخراس، لا تعرف كيف تجبيني... في عينيها زرقة بحر هادئ... وفي استدارة وجهها حالة بياض يلفح سمرة تبرز مع ضحكتها. لم انتبه لشعرها، ناعم له ملمس اللحاف الذي يشبه لون البحر، مرحلة الصمت، امتدت بيننا، دائماً هناك ذكريات وكومة من الهذيان المتفرقة، هذا يومي الأول، وما زال صوت المولدة الكهربائية يضرب... كان الوقت يتآكل، رغم بطئه))^(٣١)، تبدأ احداث الرواية بالتتابع عبر سرد لحركة الراوي في وصف ملامحها وهو سرد متسلسل وتفصيلي في كثير من الاحيان لكل وصف يوصفها الروائي وتتسع اللوحة عندما يتحول ليصور لنا الحياة الاجتماعية من ذكريات متفرقة ومؤلمة هذا ونجد التسلسل الزمني كذلك في روايته (السَّقْشِخِي)، فيقول: ((لم أعلم في أي مكانٍ أكون، هل أنا بشرٌ مثلاً لم أزل أحتفظ بإنسانيتي، أم صرت شيئاً آخر... أصبحت متيقناً أنني ذاهبٌ إلى حتفي ولا أعلم ماذا حلّ بي ولماذا؟.. سؤالٌ واحدٌ ظلّ يتردد في رأسي الأدمي.. أين زينب؟))^(٣٢). فقد تسلسل الروائي عبر الزمن من الحاضر للمستقبل راجعاً إلى الماضي مستعيداً في كل مرة ذكرياته أو مستحدثاً عن أحلامه، إذ يروي قصص قصيرة أو لمحات بسيطة عن حياته بتداخل العنصر الزمني فيها مترحلاً من ماضٍ إلى حاضر إلى مستقبل. كذلك نجده أيضاً في رواية (فضاء ضيق)، حيث نجد التسلسل الزمني ماثلاً أمامنا بداية من الصفحة الأولى في بداية الرواية، حيث يقول: "لم يكن ذلك الصباح من شهر مارسٍ مشابهاً للصباحات الأخرى.. كانت الشمس تسقط على رطوبةٍ خلفها مساءً مرتبكٌ على الأشجار والناس والإسفلت وحتى جدران العمارات والأبنية المختلفة.. فيما كانت الأجساد تنزّ عرقاً يشبه صمغاً ذاتياً كلما صعدت الشمس عن أفق المدينة الشرقي.. كنت قد سمعت وناقشت وجادلت إن صيف هذا العام سيكون شديد الحرارة ومزعجاً حتى سياسياً"^(٣٣). فليس من الصعب أن نلاحظ بروز شخصية الزمن في هذه البداية التي بدأت بعنصرين مهمين ومختلفين من عناصر الزمن، وهما الصباح، وشهر مارس، وذلك حتى يشير ينبه الكاتب المتلقي لأهمية عنصر الزمن في هذه الرواية. فقد ضمّن الراوي على لسان الشخصية المحورية في الرواية قصتين بين الماضي والحاضر، لم يكتفِ بذكر تسلسل الأحداث بينهما، بل تداخلت أحداث القصتين، فتارة يتذكر الماضي وأيام الاستخبارات، ثم ينتقل إلى الحاضر (الآن) أي تلك اللحظات التي يعيشها، ثم لا يلبث أن يذكر الماضي مرة أخرى منتقلاً بين القصتين في رحاب الزمن. تجدر الإشارة إلى مفهوم التضمين الواسع والذي يراه معظم الباحثين بأنه العلاقات التي تربط النصوص مع بعضها فقد عرف بأنه ((تعالق... نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة))^(٢). الكيفيات تتحدد في اشكال المعارضة أو المناقضة والسرقة، ويمكن القول ان الرواية المضمنة اما ذاتية ناشئة من الرواية نفسها أو عامة بعيدة عن الرواية الاصلية. وفي رواية (فضاء ضيق) نرى التضمين في قوله: "في تلك اللحظة تنكّر محسن وهو يرى أحد الكفلاء وهو يتلمّظ بلسانه متابعاً لأرملةٍ شابّةٍ لديها طفلان أجمل من قمرٍ منير كما قال له تحرير.. كان مثل أفعى تمدّ لسانها تحضيراً لالتهام الفريسة"^(٣٤). حيث ورد هذا النموذج في سياق حديث (محسن) مع أحد أصدقائه، حول بعض مخاوفه وأحاسيسه، في أثناء حديث صديقه قام (محسن) بتذكر قصة المرأة الأرملة التي يتبعها أحد الكفلاء)، فذلك من أنواع التضمين، حيث دمج الكاتب بين قصة قد حدثت في الماضي وأخرى في الحاضر، ويربط بينهما، وذلك لإنزال القصة الثانية مكان الأولى، وذلك يعد نمطاً من أنماط التجديد في البناء السردى داخل الرواية^(٣٥).

المبحث الثالث: المكان

يعد المكان من أهم المكونات الأساسية في العمل الروائي ويشغل حيزاً كبيراً في بنيته السردية، ويشكل مع باقي الأمكنة فضاء الرواية الشامل. والمكان هو الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، والصراع بين الشخصيات في إطار المتن الحكائي المتماسك لا يحدث في الفراغ

بل في أزمنة وأمكنة متعددة ومحددة^(٣٦) ومهما يكن فإن الرواية لا بد أن ترتبط بالمكان على اختلاف قيمته ودوره في بنية العمل، وسواء كان المكان في إطار أبعاد مستقيمة أو دائرية فإنه لابد أن تسع لحركة الشخصيات ومسيرة الأحداث. وفي وصف المكان الروائي يبرز ما يسمى ب (الفضاء الروائي) الذي يعني مجموع الأمكنة التي تظهر في بنية الرواية وتشغل حيزاً جغرافياً تتحرك فيه الشخصيات حقيقة مادية ملموسة، أو رؤية ذهنية خيالية رمزية، وفي كل الحالات يشغل السرد والحكاية بكل أبعادها فضاءً كتابياً أو فراغاً لا يشغله سواد اللغة. وبالتالي فضاء النص السردي بفضاء الرموز الطباعية ينشأ فضاء جديد هو الفضاء الموضوعي للرواية بمجملها، هذا الفضاء الذي يلتقي فيه وعي القاص بوعي القارئ. إن التلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله إلى أبعد الحدود، فإسقاط الحالة النفسية أو الفكرية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو وسط يؤطر الأحداث، إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقترن عالم السرد محرراً نفسه من أغلال الوصف وتعدى الأمر ذلك إلى كون المكان بطلاً حقيقياً للرواية. لقد كان للمكان دوراً مميزاً عبر العلاقة التي تربطه بالإنسان؛ إذ تملك الإنسان فكرة المكان - قديماً وحديثاً - ومن ثم تطورت فكرة المكان عند الإنسان لتشمل تعاملاته في عالمه المحيط به، فيصبح مرتبطاً مع الحدث ومكون مع الطبيعة الأداة التي يستند عليها الروائي للوصف عن حالة الشخصية^(١)، ونظراً لأهمية المكان للإنسان عامة، وفي العمل الروائي خاصة، سوف نقدم بعض التعريفات التي سبقت لتعريف المكان لغويًا واصطلاحيًا وفلسفيًا. وعلى هذا الأساس فإن النص الروائي يقتضي النظر إلى ما يداخله، وخاصة ما يداخل (الحيز) أو ما يسمى (المكان والفضاء) فمما لاشك فيه فإنه خليفة يخلقها الروائي يقص على السامع (المتلقي) حكاياته، ويتبع الاختلاف في دلالة المكان عن اختلاف رؤية المكان الواحد من حيث أبعاده ومحتوياته^(١). وأفضل نموذج على تلك الطبيعة؛ ما نجده في رواية (الصورة الثالثة) لم تكن رواية الصورة الثالثة للروائي (علي سعيد لفته) من الروايات التي اهتمت بعنصر المكان كسابقاتها، فقد ركز الروائي على الشخصيات أبطال الرواية أولهم صورة الجندي مشوه الوجه معاق الجسم، ((نصف لوجه ضامر والنصف الآخر منقح.. أشكال غريبة في النصف الأول، وجه جهات. واحدة مفتوحة، وعين مغلقة بل آثار عين التحم الجلد حولها من ثلاث جهات...))^(٣٧). استخدم الروائي تلك الأوصاف في محاولة منه لوصف حالة واقعة في مجتمع بآثره، لا تقتصر على شخص واحد بل كان هذا الشخص هو مثال لحال مجتمع جله معاقين وضحايا للحرب. كان المكان هنا عام ولم يكن مخصصاً، فلم يكن هدف الروائي كما قلنا هو المكان بقدر ما كان وصف حالة المجتمع، مجتمع مشوه بأكمله، بنصف وجه وعين واحدة، مجتمع بدمته وشوّهته الحروب والظلم والديكتاتورية، لنرى ناج ذل في وجه قبيح وحزين ومشوه، مضمّر الألم والحقد واليأس، والكآبة والعقد النفسية المستعصية على الحل وقد تجسد ذلك حينما مل - الزوج - طمر الأسرار.. رفع دشدشته واستوى كاشفاً عن ساقيه ونصف بطنه، لم تكن الحروف قادرة على وصف حالته، كان جسده ينكث، يرتجف.. حتى كاد يسقط ((وأنا في المستشفى عرفت إنني لم أعد أنا.. لقد شوّهتني الحرب وتركتني رجلاً لا يملك إلا اسمه...))^(٣٨). وهناك صفات أخرى للمكان تميز طبيعته أحدها أن المكان والشخصيات التي فيه تعد في حالة من الامتزاج إذ يرتبط أحدها بالآخر، فيرتبط الإنسان بالمكان الذي يتحرك أو يستقر فيه، وكذلك الزمان في علاقة تلازميه مع المكان؛ فالمكان عبارة عن ((مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة، وتقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة أو العادية، مثل الاتصال والمسافة، ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة مهمة؛ وهي أننا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المغطاة على أنها مكان يجب أن تجرد فيه هذه الأشياء من جميع خصائصها، ما عدا تلك التي تحدها العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحساب))^(٣٩) أما فيما يتعلق بالبنية المكانية بالنسبة للنصوص، فنجد تلك البنية المكانية تؤسس لأنساق مكانية يشملها العموم، فقد تكون أنساقاً عامة لأعمال روائي معين، أو ((أنها بنية لتيار من التيارات الأدبية، أو نسق لثقافة من الثقافات، وذلك النسق هو ما أُطلق عليه البنية المكانية العامة، أما البنية المكانية الخاصة تعد أكثر تحديداً من البنية العامة، إلا أنها داخلية في صراع معها عبر تحطيم أوتوماتية لغتها))^(٤٠). بداية رواية (وشم ناصع البياض)، فتظهر لنا طبيعة المكان كمحيط مادي يحوي مجموعة من الشخصيات أخذة في ذلك المحيط مساراً خطياً مزدوجاً فيه تناقض يتمثل في كون الأشخاص أحياناً في حالة من التداخل، وأحياناً أخرى في تنافر وتباعد لتكون في الأخير وحدات منفصلة ((توحي بمدى ما تتميز به كل شخصية من استغلال واكفاء؛ ومن ثم فهي رهينة عالمها الخاص.. وتجربتها الإنسانية الفريدة))^(٤١)، وذلك نجده في رواية (وشم ناصع البياض)؛ نجد الروائي فيها يستخدم أسلوباً سردياً عالي الكثافة يوحي إليك كأنه أشبه ما يكون برسم لوحة وكل ما عليك هو أن تنظر إليها وتفك شفراتها لتصطدم بملحمة مُشجّعة بالأحداث والشخوص تلاحم الصورة وتتابع في الظهور في حزمة من الانفعالات والأسئلة الباحثة عن أجوبة. كان مغزى الروائي من تلك الرواية هو تسليط الضوء على الماضي والحاضر والمستقبل، والأحداث المتلازمة مع الزمن في كل أطواره، عبر

حوار يدور بين سبعة أخوة للبحث عن الجد المُختفي، في محاولة لمحاولة المتلقي بمجموعة من الأسئلة بهدف التشويق والإثارة على مدار الأحداث. إن التغييرات التي تحدث في بنية المكان، سواء ايجابية كانت ام لا وعبر التاريخ تتحول من مدة الى اخرى عبر التأثير الانساني الذي يحوي تغيرات بنوية في التصور عبر الكون فيعد مختزلاً لكل الاحداث ((والمكان يبدو كما لو كان مختزناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والدروس حيث تتشا بينه وبين الانسان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف على الاخر))^(٢). أما المكان في رواية (وشم ناصع البياض) فلم يكن هو الهدف بقدر ما كان الزمان والأحداث هما الهدفان الرئيسان في الرواية، هذا وقد بدأت الرواية بتواجد الأبطال في نفق أو دهليز لا يرون منه الحياة إلا عبر شباك صغير يطل على الشارع، لا يسمعون منه سوى أصوات طلقات النيران وأصوات المدافع والطائرات المقاتلة، ليعيشوا أجواء محفوفة بالمخاطر في هذا المكان. ((كانت النافذة الوحيدة في الغرفة الكبيرة، قد أسدلت ستارها الطويلة، لتمنع انزلاق الضوء الى الرصيف المكشوف، وقد هبط الجميع في سكونٍ مشوب بالقلق، تتخلله بعض حوارات لا يريدونها أن تسخن.. وهم سائرون على نقوش الهدوء، توزع أبخرة الصبر على تقاطع الوجوه، دافعين نظراتٍ قلقةً الى زوايا أكثر انفرجاً))^(١). ومن ثمَّ جاء المكان للوهلة الأولى معبراً عن الحالة النفسية للشخص، إذ ان ((جل مفاهيم الانسان الاخلاقية والنفسية والاجتماعية وحتى الايدولوجية، لا يعبر عنها الا تعبير مكانيا صرفا كأعلى واسمى وضيق ووسع الصدر او اضيقه ويمين ويسار وتطرف ووسطية وعلى هذا فهو خير معين للإنسان اذ يمدده بتصوراتهِ ومفاهيمهِ))^(٢)، لأنه يشكل وبخاصة للمبدع حلا مريحا اذ يخلصه من المباشرة في التعامل مع الاحداث والابتعاد عن السطحية، مسئلتهما أهميته من تلك الحالة التي يعيشها أبطال الرواية في خوف وذعر وقلق من ماضي أليم وحاضر مخيف ومستقبل غامض، ((.. ليلة تجاوزت منتصفها، داخله على نصف الساعة الأولى من بدء تاريخ يومٍ سيبقى ماثلاً في الذاكرة كلما مرَّ عامٌ جديد.. هي التي بعثت رائحة الموت مرةً أخرى.. رائحةٌ تدور في حلقاتٍ، تحوم حول الأجساد المتمرسه بالصبر حدَّ النخاع، متحاملةً على حافزا أوجاعها.. لا شيء يمضي في العقول دون أمل. في الذاكرة بدء منازلٍ، سلاحها متقاطضٌ في الطرفين. سلاحٌ يجوب الأرض والسماء.. يدمر ويقتل ويحرق، وسلاح الصبر الذي لا ينثلم))^(٣). فالرواية لا تتحدث من خلال تقديمها لشخصياتها ومن خلال صياغة أحداثها عن شخصية معينة لها من السمك والعمق ما يجعل منها كياناً متفرداً، على النقيض من ذلك، إنها تتسج صورةً إنسانيةً كلياً تحتضن كل الصفات، لذا تحيلنا هذه الشخصيات ((كبير السن، صاحب الجرح، الصحفي المتقف، الشيخ، المهذار، ذو الوجه المبتسم، الصغير) على النموذج وليس النسخة إعادة إنتاج الأصل التجريدي (حكاية أهل الكهف) وليس الفرع (أتعبه الكلام، واحترقت حلوهم بدخان السكاثر حتى أنحدر بهم الصمت.. لم تكن غرفة يسكنون إليها فقط. كانت عبارة عن جداريات متصلة.. متراسة كلما نظروا إليها جاءتهم ابتسامة أنيقة لتضيء لهم تاريخاً من الزهو))^(٤) فتشيد اللغة السردية وفق خطابٍ رؤيويٍّ (أسطوره) اتخذ شكلاً سردياً (مرسلاً، رسالة، وسيط، متلقي). وهو شكل خطابٍ تبشيري غني بالتفاصيل الفيزيقية والدينية لا تتوير كما الأسلوب الثقافي، وهو ما أسهم في إعادة سؤالٍ جوهرية مهم: هل كل ما كان مجرد أحلام وهلوسات لا معنى لها في ظلّ متغيرات الواقع والمكان وتحدياته؟ لتأتي الإجابة على لسان الأكبر ((اسمعوا.. إن غياب الجد لا يعني أن تكونوا كمن غاب عنه العقل، عليكم أن تسألوا أنفسكم))^(٥). وهناك طبيعة أخرى للمكان وهي قدرته على الخروج من الإطار انتقالاً إلى عالم المستقبل، تلك الخاصية التي تُمكن الراوي او الروائي من الخروج من الحيز المؤطر المتواجد فيه في اللحظة الحالية وصولاً إلى مكان آخر يريده المبدع، وهناك محاولات لبعض المبدعين للاسترسال في وصفه في محاولة لإعطائه سمة الواقعية من أجل انتظام حركة العناصر الأخرى المرتبطة بعنصر المكان، والمكان الواقعي إذ ((ذلك المكان الذي يجعلنا نتذكر امكنتنا التي عشنا فيها التي حلمنا ان نعيش فيها))^(٦)، فوجوده في الرواية أيا كان شكله فهو ليس كما في الواقع الخارجي وان سمته الرواية او عنته. تعددت الأمكنة في رواية (وشم ناصع البياض) ولكنها -كما قلنا- ليست هدف الروائي من روايته، تعددت في سبيل بحث الأحفاد عن جدهم، ولأن الأحداث كلها يعمها الخيال، فكان لزاماً على المكان أن يلاحق الأحداث من اذ الخيال، فكان الروائي استطاع أن يُحرِّك خيال المتلقي لينتقل عبر الأزمان من مكان لآخر في محاولة لملاحقة شخوص الرواية أثناء البحث عن جدهم. ((كل واحدٍ منكم يريد أن يكون في مكانه. قانعاً بأفكاره، متناسين إن ما يجري لنا لا يمكن تغافله.. مرةً أخرى حاول صاحب الجرح أن يتبوأ مكاناً في النقاش: كأنك تريدنا أن نرمي أنفسنا في التهلكة.. خرجنا من الحرب مع إيران عسى أن نلتقط أنفسنا المخرومة، فوجدنا أنفسنا في الحرب من جديد. لماذا.. ومن أجل أي شيء؟))^(٧). ومن ثمَّ بدأت حركة التنقل إلى أماكن بعيدة عن دهاليز الاختباء في محاولة لنسج خيوط سير ليتبوعها من أجل تيسير رحلة البحث عن الجد المختفي ((أمروه أولاً بالبحث عن الجد.. انطلق خارج منطقة الاختباء عسى أن تكون دليلاً للآخرين، وتعود إلينا محملاً بأريج معرفتك.. اذهب متوكلاً على الله))^(٨). إذ اصبح المكان يجسد الافكار والمشاعر بوصفه ميدان لحركة الاشخاص ومسرح الاحداث (٢)، كما ظهر المكان في حكايا الجد عن رحلته: ((..

أخذته الصحفي ذات مرة لزيارة المتحف ورأى الأحجار واللّقى والرّم الطينية.. لكنه يسمع أيضا من أخوه المهذار إن التاريخ هو البلاء لأن هناك من يريد أن يصنع تأريخه من خلال الحروب))^(٤٧). أننا لا نستطيع فكّ شفرة هذا النمط من البناء الحكائي إلا من خلال تتبّع حركة تطوّر الأحداث وما تحاول نسجه من أثارٍ معنويّة وفكريّة تساهم في صناعة مضمونها الدلالي كخطاب، إذ اتّخذ نمط سير الأحداث شكلا دائريا مغلقا في تطوّر الأحداث والشخصيات داخل المكان السردى وفق طريقته، في الظهور وفي الاختفاء، وفي حركة الزمن ليل / نهار.. وهو نمطٌ ظلّ يحكم العلاقة ما بين الماضي والحاضر، ان هذه المساحة النصية الواسعة للرواية تتيح للروائي التكيف والمرونة مع الزمن لبناء نصه الروائي^(٢)، هيمن على جميع التصوّرات والسلوكيات البشرية.. وفق هذا المعطى الدلالي الواضح والمضامين الشكلية، نجد أن شخوص الرواية أو أبطالها السبعة، الجد والأحفاد، والتي تعمّد الروائي في تركهم بلا أسماءٍ صريحةٍ والاكتفاء بأسماء مكناة، ضمن ترتيبٍ ينسجم والفعل التراثي التقليدي من الكبير الى الصغير، لخلق نوعاً من الايحاء النفسي والإحالة التقافية لدى القارئ (تتاص) ليضعنا أمام بنيةٍ سرديةٍ تستعير من الحكايات الشعبية والدينية والأسطورية جملةً من الخصائص، تضعها لتشكّل نظامها القيمي والمرجعي.. كانت أهم ركيزة في ذلك هي لغة خطابها السردى الغني بالإشارات الحكائيّة والاستعارية الاسطورية، فمن خلال هذا الإجراء يمكننا تحديد نوعية البنى التي تحكم كامل الخطاطة السردية والتي أطلقنا عليها إعادة أسطرة الخطاب.. والأسطره هنا ليست لبناء عالمٍ خياليّ لا رابط بينه وبين ما موجود في العالم الاعتيادي، وإنما هو خطابٌ يقوم بنقل الحدث الواقعي داخل حدود المتخيّل الاجتماعي، وهذا ما يعكس قصدية المؤلف الذي سعى منذ البداية الى جعل حقيقة الحكاية أكبر من حقيقة الواقع، من خلال مزج ما هو واقعي بما هو متخيّل، وتفكيك ما هو ثقافي ديني بما هو فنيّ أدبي، لكشف معيارية الثابت الهشّ أصلاً بمعيارية المتحوّل الفاعل المتجدّد، وفق قانون الأسطره.. وهو التجليّ والخفاء، وهو ما انعكس على أقسام الرواية السبعة أيضا ((النهار، صباح اول، نهار سابع، يوم تائه، ظهيرة بعيدة، خارطة وشم، وشم غائب) أعيدها، لأرتب المعنى مما تساقطت تلك محنتنا الاولى))^(٤٨) أما في روايتي الصورة الثالثة ومزامير المدينة، وستناولهما في هذا المبحث- معاً، لأنهما جزئيين لنفس الرواية مع اختلاف العنوان في كليهما، إذ تناولت رواية (مزامير المدينة) للروائي الحالة الاجتماعية والسياسية للعراق في ظل الحروب والفساد والديكتاتورية، واصبح للمكان دوره في حياة الانسان ينمو ويتطور بتطور ونمو الفكر البشري^(٢)، تلك الحالة التي عاشها بطل الرواية (محسن) كاتب القصة، وإن كان البطل هو الروائي والأديب الهادئ في طباعه الحالم في أمنياته إلا أن ظروف البلاد ألجأته إلي تغيير مهنته ليتحول إلى عامل مشغل لمولدات الكهرباء في سطح فندق، وكان ذلك في رواية (الصورة الثالثة) ومنها إلى مهنة حفّار القبور في تلك الرواية وهو العمل الذي يتلائم مع أحداث الرواية.

خاتمة

بعد ان وصل البحث الى خاتمته يمكن للباحث ان يلخص اهم النتائج التي توصل اليها البحث :

١. الرواية بشكل عام جنس أدبي دائم التغير والتحول، فهي أكثر الأجناس الأدبية التصاقاً بالواقع، وتعبيراً عنه، لذلك نجد إن روايات الروائي (علي لفته سعيد) قد عكست واقعاً مأساوياً، ومستقبلاً مجهولاً، من خلال الأفكار والقضايا التي تناولتها، مما يعكس طابع الشعور بالغربة والضياع الذي يسيطر على هذه الروايات.
٢. هناك علاقة لزومية بين الفضاء الروائي والمكان، إذ يتكون الفضاء من مجموعة من الأمكنة المذكورة في الرواية، والتي تتفاعل الشخصيات فوق مسرحها، مما ينفي فكرة الترادف بين الفضاء الروائي والمكان.
٣. إن أهمية الفضاء الروائي داخل أي عمل روائي تأتي من خلال علاقته ببقية العناصر الأخرى المكونة لهذا العمل، كذلك فإن خصوصية الفضاء الروائي ليست منفصلة عن عناصر الرواية الأخرى، إذ يأتي ذلك ضمن رؤية كلية تنظم العمل الروائي، ولّد مصطلح الفضاء الروائي إشكالية ناتجة عن تعالقه بالمكان إلا أن مصطلح الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من مصطلح المكان، فالفضاء هو الذي يحدد المكان الذي هو جزء منه، كما يشكل الفضاء إطاراً لحركات وافعال الأشخاص ويقوم بوظائف أخرى لا غنى عنها في الرواية
٤. إن حسن توظيف الفضاء الروائي يساعد الروائي على بلورة الأيديولوجيات الفكرية، والرؤى التي يريد الروائي الإفصاح عنها من خلال الرواية.
٥. نلاحظ في روايات الروائي (علي لفته سعيد) التي تناولناها بالدراسة أن تصوير الفضاء الروائي في معظم الأحيان جاء عبارة عن لوحة فنية متقنة، إذ قامت من خلال الأحداث بالكشف عن الأبنعة المزيّفة للواقع، من خلال إبراز التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع.

٦. حاول الروائي (علي لفته سعيد) في معظم أعماله الروائية أن يساير ركب التطور والتجديد الذي يلحق بالرواية العربية باستمرار، لذلك نجده دائماً يحاول الاعتماد على توظيف التقنيات الحديثة في أعماله الروائية، ومن ذلك بنائه للزمن في معظم الروايات بناءً حديثاً معتمداً في ذلك على بعض أشكال البناء الزمني الحديث كالاسترجاع والاستباق وغيرها، وتمكن الروائي بأسلوبه الجميل، وبراعته في الخيال من حسن نسج عناصر الروايات مع بعضها، دون أي تصنع أو افتعال.

المصادر

١. إخوان الصفا - الرسائل : تحقيق عارف شاکر ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٩٥ .
٢. الادب والفضاء ضمن كتاب الفضاء الروائي : جبرار جينيتيا وآخرون ، ترجمة عبد الرحيم جزل ، افريقيا / الشرق ، الغرب (د . ط) ، ٢٠٠٢ .
٣. البناء السرد في روايات الياس خوري : عالييا محمود صالح ، دار ازمنا للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
٤. بناء الشخصية في الرواية العربية، الرواية العراقية نموذجا: د. مصطفى ساجد الراوي، مركز عبادي للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.
٥. البنية السردية (الزمن - المكان - الشخصيات) في رواية العصيان : لاهميدة العياشي نموذجا ، جامعة عبد الرحمان مسرة ، بجاية كلية الاداب واللغات .
٦. البنية السردية في شعر نزار قباني: انتصار جديد عيدان، رسالة ماجستير جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٢
٧. بنية الشكل الروائي : حسن بحراني ، مركز الثقافي العربي ، بيروت، ٢٠٠٩ .
٨. بنية النص السرد من منظور النقد الادبي : حميد الحمداني ، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ٢٠٠٠ .
٩. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر: قادة عقاق، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠١ ٢٠٠٦ .
١٠. الرواية الدرامية، دراسة في تجليات الرواية العربية الحديثة: د. باسم صالح حميد، ط ١، بغداد، ٢٠١٢ .
١١. الرواية العربية واقع وافاق: محمد براءة وآخرون، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨١ .
١٢. الزمان في المذهب الوجودي عند مارتين هيدجر : د. عبد الرحمن بدوي ، عالم الفكر ، العدد ٢ ، مج ٨٠ ، لسنة ١٩٧٧ .
١٣. الزمن التراجمي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية، أكتوبر، ١٩٧٠ .
١٤. الزمن النوعي وأشكالها النوع السردية: هيثم الحاج علي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ .
١٥. شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية : حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
١٦. الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة : منيب محمد اليوربي ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ودار النشر المغربية ، الرباط ، ١٩٨٣ .
١٧. معجم السيميائيات : فيصل الاحمر ، دار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر، ط ١ ، ٢٠١٠ .
١٨. المكان في الشعر العراقي الحديث: سعود احمد يونس: اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦ .
١٩. نظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٣ ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٢٠. نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٧ .
٢١. نظرية النص الادبي : عبد الملك مرتاض ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . ط) ، ٢٠١٧ .
٢٢. الواقعية والرواية : آيات وات ، ترجمة ، يوثيل يوسف عزيز ، مجلة الاقلام ، س / تشرين الاول ١٩٧٥ .
٢٣. الوجود والزمان والسرد والفلسفة التأويلية عند بول ريكور (الحياة بحثا عن السرد) : بول ريكور ، ترجمة : سعيد الفاتحي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٩ .

الهوامش

- (١) نظرية النص الادبي : عبد الملك مرتاض ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . ط) ، ٢٠١٧ ، ٢٩٦ ، وينظر : اطروحة عز الدين جلاوي لنيل الدكتوراه في الادب العربي تخصص ادب جزائري .
- (٢) معجم السيميائيات : فيصل الاحمر ، دار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر، ط ١ ، ٢٠١٠ : ١٢٣ .

- (٣) لسان العرب : لابن منظور ، (مادة فضاء).
- (٤) تاج العروس : احمد بن عطاء الله ، (فضاء).
- (٥) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط (مادة فضاء).
- (٦) الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة : منيب محمد اليوربي ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ودار النشر المغربية ، الرباط ، ١٩٨٣ ، ٣٨.
- (٧) نظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٣ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٣٢٦.
- (٨) نظرية البنائية في النقد الادبي : صلاح فضل : ٣٢٦.
- (٩) معجم السيمائيات : فيصل الاحمر ، ١٢٩.
- (١٠) الزمان في المذهب الوجودي عند مارتين هيدجر : د. عبد الرحمن بدوي ، عالم الفكر ، العدد ٢ ، مج ٨٠ ، لسنة ١٩٧٧.
- (١١) الواقعية والرواية : آيات وات ، ترجمة ، يوئيل يوسف عزيز ، مجلة الاقلام ، س / تشرين الاول ١٩٧٥ :
- (١٢) كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي (محمد بن علي) : ١٦٣٤.
- (١٣) اخوان الصفا - الرسائل - تحقيق عارف شاکر ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٩٥ : ٢٠.
- (١٤) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية : حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٠ : ١١.
- (١٥) بنية الشكل الروائي : حسن بحراوي ، مركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ : ١٠٧.
- (١٦) بنية النص السردى من منظور النقد الادبي : حميد الحمداني ، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ٢٠٠٠ : ٦٠.
- (١٧) ينظر : البنية السردية (الزمن - المكان - الشخصيات) في رواية العصيان : لاهميدة العياشي نموذجاً ، جامعة عبد الرحمان مسرة ، بجاية كلية الاداب واللغات : ٣٦ .
- (١٨) معجم السيمائيات : فيصل الاحمر : ١٢٥.
- (١٩) ينظر : السيمائيات السردية : سعيد بنكراد ، مر : محمد التهامي الحراق ، ط ١ : ١٧٦ .
- (٢٠) بنية الشكل الروائي : حسن بحراوي : ٥٣.
- (٢١) البناء السردى في روايات الياس خوري : عاليا محمود صالح ، دار ازمنا للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٧٥.
- (٢٢) الادب والفضاء ضمن كتاب الفضاء الروائي : جبرار جينيتيا واخرون ، ترجمة عبد الرحيم جزل ، افريقيا / الشرق ، الغرب (د . ط) ، ٢٠٠٢ : ١٢-١٣.
- (٢٣) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية : حسن نجمي : ١٢.
- (٢٤) الوجود والزمان والسرد والفلسفة التأويلية عند بول ريكور (الحياة بحثا عن السرد) : بول ريكور ، ترجمة : سعيد الفاتحي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٩ : ٤٧.
- (٢٥) بنية النص السرد من منظور النقد الثقافي : حميد الحمداني : ٦٥.
- (٢٦) البنية السردية في شعر نزار قباني: انتصار جديد عيدان، رسالة ماجستير جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٢: ٧٨.
- (٢٧) ينظر: الرواية الدرامية، دراسة في تجليات الرواية العربية الحديثة: د. باسم صالح حميد، ط١، بغداد، ٢٠١٢: ٥٦
- (٢٨) لسان العرب: ابن منظور: (مادة زمن)
- (٢٩) رواية وشم ناصع البياض، على لفته سعيد، دار الفؤاد للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٠: ٧.
- (٣٠) م. ن: ٧.
- (٣١) ينظر: تقنيات السرد الروائي في رواية حارس التبغ لعلي بدر، أنوار قاسم منسي، ياسمين هاشم جراح، بحث مقدم لاستكمال متطلبات نيل شهادة البكالوريوس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة القادسية، ٢٠١٧م، ص: (٩).
- (٣٢) رواية الصورة الثالثة، على لفته سعيد دار الفضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٥: ٩-١٠.
- (٣٣) الزمن النوعي واشكاليات النوع السردى: هيثم الحاج علي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٥٣

- (٣٤) م. ن: ٥.
- (٣٥) رواية السَّقْشَخِي، علي لفته سعيد، دار الفؤاد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٧: ١١.
- (٣٦) فضاء ضيق: علي لفته سعيد، ص: (٤).
- (٣٧) فضاء ضيق، علي لفته سعيد، ص: (٥٠).
- (٣٨) ينظر: المفارقة في القص العربي المعاصر: سيزا قاسم، ص: (٨٦).
- (٣٩) الخل الوفي، عبد الكريم السبعواوي، غزة، دار النورس، ١٩٩٧: ٣٤.
- (٤٠) رواية الصورة الثالثة، علي لفته سعيد: ١٣٠.
- (٤١) ينظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٧: ٢٠.
- (٤٢) رواية الصورة الثالثة. علي لفته سعيد: ١٧٨.
- (٤٣) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تر: سيزا قاسم، ط ٦، ١٩٨٦: ٧٦.
- (٤٤) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان: ٨٧.
- (٤٥) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية، أكتوبر، ١٩٧٠، ٧٩.
- (٤٦) بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي: ٣١.
- (٤٧) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ٨.
- (٤٨) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر: قادة عقاق، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠١ ٢٠٠٦.
- (٤٩) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ٢٣.
- (٥٠) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ١٠.
- (٥١) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ٣٤.
- (٥٢) الرواية العربية واقع وفاق: محمد برادة وآخرون، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨١: ٢١٨.
- (٥٣) رواية وشم ناصع البياض. علي لفته سعيد: ٤٦.
- (٥٤) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ٥٢.
- (٥٥) ينظر: بناء الشخصية في الرواية العربية، الرواية العراقية نموذجاً: د. مصطفى ساجد الراوي، مركز عبادي للدراسات والنشر، ٢٠٠٣: ٥٨.
- (٥٦) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ٨٢.
- (٥٧) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق: عبد الرزاق جبار سلمان: ٢٣.
- (٥٨) رواية وشم ناصع البياض، علي لفته سعيد: ص ٤.
- (٨٩) ينظر: المكان في الشعر العراقي الحديث: سعود احمد يونس: اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦: ٨.